

## قال - رحمه الله تعالى - : [ باب الذكر عقب الصلاة ]

يقول المصنف - رحمه الله - : [ باب الذكر عقب الصلاة ] . لما فرغ - رحمه الله - من بيان هدي رسول الله ﷺ وسنته في صفة الصلاة وفرغ من بيان الوتر، شرع في بيان هديه - عليه الصلاة والسلام - وسنته في الذكر بعد الصلاة. كان - عليه الصلاة والسلام - إذا فرغ من صلاته يذكر الله - تعالى - ، واعتنى العلماء من المحدثين والفقهاء - رحمهم الله - ببيان السنة وهدي رسول الله ﷺ في الذكر عقب الصلاة. فهناك ذكرٌ في دبر الصلاة وهناك ذكر بعد الفراغ من الصلاة. والمقصود من هذا الباب: أن يبين الذكر الذي يكون بعد السلام، فقد صحت عن النبي ﷺ الأخبار بالأذكار القولية التي يشرع للمسلم أن يقولها عقب سلامه وفراغه من الصلاة. لكن ظاهر قوله: "من الصلاة" يحمل على الصلاة المفروضة وهذا هو الأصل والغالب من هديه - عليه الصلاة والسلام -، وإن كان له - عليه الصلاة والسلام - هديٌّ: أنه كان يذكر الله بعد الفراغ من بعض السنن وبعض النوافل، وقد ثبت عنه - عليه الصلاة والسلام - : أنه كان إذا فرغ من الوتر قال: ( سبحان الملك القدوس سبحان الملك القدوس سبحان الملك القدوس ) ثلاث مراتٍ، ورفع صوته ومد صوته في المرة الثالثة، كما جاء في حديث السنن عنه - عليه الصلاة والسلام - . وقال بعض العلماء: يستحب أن يقول عقب كل صلاةٍ - سواءً كانت نافلةً أو كانت فريضةً - : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك؛ لأن النبي ﷺ عمم في ذلك، كما في حديث معاذ بن جبلٍ - رضي الله عنه وأرضاه - .

قال - رحمه الله تعالى - : [ ١٤٠ - عن عبد الله بن عباسٍ - رضي الله عنهما - : أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله ﷺ ، قال ابن عباسٍ : ( كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته ) وفي لفظٍ : ( ما كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله ﷺ إلا بالتكبير ) . ]

ذكر الله - تعالى - من أحب القرب وأعظمها ثوابًا ومن أشرفها عاقبةً ومآبًا، ومن ذكر الله ذكره الله، ولو لم يكن في الذكر إلا قول الله ﷻ : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ لكفى ذلك شرفًا وفضلًا؛ فإن الله ﷻ عظم ذكره وفضله فقال: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ قال بعض العلماء: لذكر العبد لربه أكبر وأشرف وأعظم الطاعات وأحبها إلى الله، استدلالاً بقوله - عليه الصلاة والسلام - : ( ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وخير لكم من إنفاق الورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا رقابهم ويضربوا رقابكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ذكر الله ) وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: ( سبق المفردون قالوا: يا رسول الله، وما المفردون؟ قال: الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات ). فذكر الله ﷻ من أشرف الطاعات وأجل القربات وقد قال الله في كتابه: ﴿ فَأَذْكُرُوا فِي آذَانِكُمْ ﴾ . ومن لزم ذكر الله جعل الله له من كل هم فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا ومن كل بلاء عافيةً، فإن الله يذكر من ذكره ولذلك قال: ﴿ فَأَذْكُرُوا فِي آذَانِكُمْ ﴾ ومن ذكر الله في الرخاء ذكره الله في الشدة. ولما كانت الصلوات الخمس من أحب الطاعات إلى الله - سبحانه وتعالى - وأشرفها وأعظمها منزلةً عند الله بعد الشهادتين شرع للعبد إذا فرغ من صلاته أن يذكر الله - تعالى - ، وقد بين النبي ﷺ أن هذا الذكر الذي يقوله العبد بعد فراغه من صلاته ترفع به درجته وتعظم به حسنته؛ لقوله - عليه الصلاة والسلام - للفقراء والضعفاء: ( ألا أدلكم على ما تدركون به من سبقكم؟ ) قالوا: بلى يا رسول الله. فذكر التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل أدبار الصلوات - كما سيأتي إن شاء الله في الحديث الذي يلي هذا الحديث - . فجعل ذكر الله عقب الصلاة سببًا في إدراك من سبق وهذا يدل على عظيم ما فيه من الثواب والأجر، والناس يختلفون فمنهم من رزقه الله طمأنينة القلب فشغله بذكره وشكره والإنابة إليه، فإذا فرغ من الصلوات الخمس جلس لذكر الله - عز وجل - وهانت عليه الدنيا وآثر الآخرة الباقية على هذه العاجلة

الفانية، فذكر الله - عز وجل - وأثنى عليه بما هو أهله، وكأنه بعد فراغه من الصلوات يحس بعظيم نعمة الله عليه وجميل منته وجميل فضله لديه، فيثني على الله بالتكبير والتحميد والتسبيح والتهليل شاكرًا لله على فضله وإحسانه، ومن شكر الله بارك الله له فهذا بخير المنازل. ومنهم من يخرج بعد انتهائه من الصلاة والمحروم من حرم - نسأل الله السلامة والعافية -.

فإذا أراد الله بالعبد الخير رزقه طمأنينة القلب بذكر الله، فبعد انتهائه من الصلوات حرص على ذكر الله خاصة في مصلاه ومكان صلاته؛ لأن رسول الله ﷺ قال في الحديث الصحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه وأرضاه -: ( فإذا صلى لم تنزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه ) فهذا خيرٌ كبيرٌ وفضلٌ عظيمٌ. ويستحب الجلوس للذكر بعد الصلوات إلا أن بعض الصلوات أفضل من بعضها، فالجلوس في بعض الصلوات أفضل من الجلوس في غيرها، كصلاة الفجر حيث ورد الدليل الخاص الذي يدل على فضل الجلوس بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس إذا صلى المسلم في جماعةٍ فقال ﷺ: ( من صلى الفجر في جماعةٍ ثم جلس في مصلاه - وفي روايةٍ: ثم قعد في مصلاه - يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين، كان له كأجر حجةٍ وعمرةٍ تامةٍ تامةٍ تامةٍ ) فهذا فضلٌ عظيمٌ، وتشتترط فيه الشروط التالية:

أولاً: أن يصلي الفجر في جماعةٍ، فإذا صلاه منفردًا لم يشمل هذا الفضل.

وثانيًا: أن يجلس في نفس المكان الذي صلى فيه ولا يتحول عنه، وكان بعض العلماء لا يقوم لمن يسلم عليه؛ لقوله - عليه الصلاة والسلام -: ( ثم قعد في مصلاه )، وهذا فضلٌ عظيمٌ فالحجة والعمرة التامة ليست بالشيء اليسير، ومن ذلك كأنه يفرغ نفسه لذكر الله - عز وجل - فلو قام من مقعده لم يشمل الفضل.

ثالثًا: أن يجلس ذاكراً لله، فلو جلس يتكلم في فضول الدنيا ولم يذكر الله لم يشمل الفضل، ولو جلس ونعس وصار يرقد وينام لم يشمل الفضل؛ لأن النبي ﷺ قال: ( قعد في مصلاه يذكر الله ) فدل على اختصاص الحكم بالذكر، والمخصوص بصفةٍ يدل على تقيده بها؛ لأن مفهوم الصفة معتبرٌ فدل على أنه لا ينال هذا الفضل إلا إذا جلس لذكر الله من تلاوة القرآن والتسبيح والتحميد والتكبير والدعاء ونحو ذلك من الطاعات، فإذا فعل ذلك حتى طلعت عليه الشمس ثم صلى ركعتين كان له هذا الفضل العظيم، فأفضل الصلوات التي ينبغي الحرص على البقاء بعدها للذكر: صلاة الفجر؛ لورود خصوص الفضيلة فيها خاصة إذا كانت مع

الجماعة، وبقية الصلوات يستحب الذكر عقبها؛ لأن رسول الله ﷺ حرص على ذلك وحافظ عليه وداوم عليه ﷺ، فيستحب للمسلم إذا فرغ من صلاته أن يجلس ولكن هذا ليس على سبيل اللزوم وليس على سبيل الوجوب؛ لأن النبي ﷺ أقر الصحابة على الخروج بعد الصلاة مباشرة كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة: لما صلى ركعتين في الظهر أو العصر - في إحدى صلاتي العشي، والشك من الراوي - قال: "فخرج السُرْعان من الناس يقولون: قصرت الصلاة قصرت الصلاة". فقول أبي هريرة: "خرج السُرْعان" يدل على أنه كان في عهده - عليه الصلاة والسلام - المستعجلون الذين يقومون بعد الصلاة مباشرة، سواءً كان ذلك لشغلٍ أو حاجةٍ أو غير ذلك من الظروف الطارئة، لكن الأفضل والأكمل: أن يجلس، وقد ثبت عنه - عليه الصلاة والسلام - أنه قام بعد الصلاة مباشرة حينما ذكر الدينارين في بيته وهذا من ورعه - عليه الصلاة والسلام -، وشدة خوفه من الله ﷻ. فالمقصود: أن هذه النصوص تدل على أنه ليس على سبيل الإلزام وليس الذكر من تمام الصلاة، وإنما هو فضائلٌ وسننٌ يستحب للمسلم أن يذكرها، وأن يأتي بها بعد صلاته على سبيل الندب والاستحباب لا على سبيل الحتم والإيجاب.

في هذا الحديث دليلٌ على مسألتين:

المسألة الأولى: مشروعية الذكر عقب الصلاة، وذكر التكبير - رضي الله عنه وأرضاه - وهو من أنواع الذكر، وسيأتي - إن شاء الله - بيان أنواع الذكر وهدى رسول الله ﷺ في ذكره عقب الصلاة.

أما المسألة الثانية: ففيه دليلٌ على مشروعية رفع الصوت بالذكر عقب الصلاة، وهذه سنةٌ واختلف العلماء فيها على وجهين:

فمن أهل العلم من قال: إن الذكر الجهري عقب الصلاة فعله النبي ﷺ من باب التعليم فيشرع أن يذكر الله ﷻ ويرفع صوته عقب الصلاة بالتهليل والتسبيح والتحميد والتكبير ونحو ذلك من الأذكار؛ تعليمًا للجاهل،

وتبنيهاً للغافل ونحو ذلك. قالوا: والدليل على هذا: أن الله - تعالى - يقول: ﴿وَأذْكُرَّ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ

تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ فالأصل في الذكر: أن يكون في النفس وهو أقرب إلى الإخلاص وأقرب للخشوع وأبعد عن التشويش على الغير، قالوا فنظرًا لهذه الأصول يكون الأفضل والأكمل: أن يكون بصوتٍ يسمع به نفسه، قالوا: وحديث ابن عباسٍ هذا - حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما الذي معنا -؛ لأن كل واحدٍ منهم يذكر

ربه بصوتٍ يسمع فيه نفسه، فترتفع الأصوات وكأنها تصير للمسجد رجّةً، وذلك لأنه في التشهد وفي الصلاة يكون المسجد في سكون، فإذا فرغوا من الصلاة ورفع كلُّ صوته بقدرٍ بحيث لا يشوش على من بجواره وعلى من بجذائه، قالوا: حينئذٍ يكون هناك رجّةٌ وصوتٌ، وهو الذي عناه ابن عباسٍ - رضي الله عنه - .

وقال طائفةٌ من العلماء: يشرع بالجهر بالذكر عقب الصلاة، وهذا القول أقرب إلى السنة، فمن جهر لا ينكر عليه؛ لثبوت هذا الحديث والخبر عن النبي ﷺ: أنهم كانوا يعرفون انقضاء الصلاة على عهدده برفع الصوت بالتكبير. فيشرع رفع الصوت ولا بأس بذلك، والخلاف في الأفضلية، ولكلا القولين وجهه، فمن رفع صوته يتأول سنة النبي ﷺ فله وجهٌ من هدي رسول الله ﷺ وهو مأجورٌ غير مأزورٍ، ومن خفض صوته يلتمس السنة ويخشى أن يشوش على غيره فهو مأجورٌ غير مأزورٍ، وكلٌّ على خيرٍ، والأمر في ذلك على سعةٍ - والحمد لله - .